

مشكلة الفلسفة

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم . مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٣

لتطور مفهوم الفلسفة عبر العصر اليوناني فالعصور الوسطى فالعصر الحديث . ويركز بصفة خاصة على نقد المفهوم الوضعي للفلسفة من ناحية ، وعلى إبراز المفهوم الوجودي او الميتافيزيقي الفردي من ناحية اخرى . ويصل بذلك الى ان مشكلة الفلسفة هي مشكلة الوجود الانساني وان موضوع الفلسفة الاول هو بحث مشكلة المصير .

فالفلسفة هي بحث عن اكثر الحقائق اهمية في حياة الانسان الروحية ، وسعي نحو توجيه السلوك في ضوء تلك الحقائق . فاذا بحثنا عن اهم هذه الحقائق وضعنا ايدينا على ثلاثة منها على الاقل : فأولاً للانسان ذاتية عارفة مشخصة فاعلة ، وثانياً له بعد ميتافيزيقي ينضاف الى الطبيعة فيحيلها الى وجود ، وثالثاً ان الحرية هي جوهر سلوك الانسان ومضمون وجوده .

ويناقش المؤلف قضية العلاقة بين الفلسفة والانسان من الزاوية نفسها . فالفلسفة هي في صميمها تساؤل عن معنى الحياة الانسانية وسعي دائب من اجل تفهم حقيقة المصير البشري . ومهمة الفيلسوف هي اظهارنا على ان الانسان سؤال مستمر بالنسبة الى نفسه وان وجوده لا يمكن ان يكون مجرد موضوع وانه في صميمه شيء اكثر من كل ما يستطيع ان يعرفه عن نفسه . فاذا انتقلنا الى امكانيات تطبيق الفلسفة قال بأن الافكار الفلسفية لا تختمل اي تطبيق لأنها هي في ذاتها وقائع حية تشيع في حياة الفيلسوف العقلية فتجعله يحيا وجوده الخاص

يعتقد الدكتور زكريا ابراهيم ان موضع الاشكال في الفلسفة هو المخاطرة الوجودية المتضمنة في عملية التفلسف ذاتها ، حين تضع الانسان امام نفسه وتجعل التساؤل عن الوجود الانساني والمصير بلا نهاية ، مؤكدة بذلك تعالي الانسان على الطبيعة وتجاوزه لها . وهو يواجه القارىء منذ البداية بهذه الفكرة المحورية التي تشكل جوهر البحث . وواضح ان مثل هذا الاشكال الفلسفي وجودي المضمون لا ينتمي الى للفلسفة الوجودية او ما حولها من تيارات فكرية .

والمؤلف يقسم الفلسفات الى فلسفات السؤال وفلسفات الجواب ، الاولى تطرح الاسئلة وتخلق المشكلات الفكرية الى ما لا نهاية دون توقع للجواب ، والثانية تجيب على كل شيء دون طرح لأسئلة جديدة . وقد تكون محصلة الاجابات مجموعة من الحكم العملية ، او تكون نظاماً ونسقاً خاصاً من الاعتقاد ، او تكون نظرة كلية للاشياء وميلاً قوياً نحو الوحدة والتركيب ، او تكون كشفاً عن المبادئ الاصلية للعلوم وتحليلاً للغة . وهي في كل حالة من هذه الحالات تعطي معنى خاصاً من معاني الفلسفة التي تجيب ولا تطرح تساؤلات جديدة .

اما المضمون الفكري لفلسفات السؤال فهو العملية التساؤلية التي تخاور فيها انفسنا ونتجادل فيها مع الآخرين ، متعمقين بذلك شروط وجودنا بوصفنا كائنات عارفة مشخصة متجاوزة للطبيعة المادية المحدودة .

والمؤلف يصل الى هذه النتيجة بعد سرد سريع

لحرية الفكر . وفي حين يقرر ارتباط الفلسفة بعنصر الابدية او الأول ، يعود فيبرز مدلولها الحضاري وتعبيرها عن مقتضيات العصر . وفي حين يجعل من التفلسف عملية ذاتية تساؤلية تعبر عن التعالي والتجاوز واللانهاية ، يعود فيؤكد على التنظيم المنهجي الدقيق والتسلسل المنطقي والبداهة والوضوح كعناصر اساسية في عملية التفلسف .

وتنعكس هذه الذبذبات الفكرية ايضاً على مناقشاته لعلاقة الفلسفة بالفروع الاخرى للمعرفة ، كالعلم والادب والدين والاخلاق والسياسة والايديولوجيا .

والمؤلف ينقد سوسيولوجيا المعرفة من حيث هي تخلط بين المشكلات الاجتماعية والمشكلات الاستمولوجية اي المعرفة ، ويرى ان الافكار قد تكون نسبية من وجهة النظر الاجتماعية ولا تكون نسبية من وجهة النظر الاستمولوجية ، وان دور الفلسفة هو احوال « المقولات المنطقية » محل « المقولات الاجتماعية والتلوينية » . ولكن المقولات المنطقية ليست مجردة منزلة تماماً عن الموقف الاجتماعي ، فلكل طبقة ولكل عصر منطقها الخاص الذي يقترب او يبتعد عن الحقيقة تبعاً لموامل كثيرة تتأثر بمنجزات الفكر الانساني ونوعية وحدة التناقضات بين البشر في عصر بعينه . وربما كانت مجتمع الطبقة الواحدة هو مجتمع الحقيقة ايضاً . اذ يصل الفكر للانساني الى قمته في اطار مصالح بشرية مشتركة متكاملة تجعل التناقض الاساسي ليس هو التناقض بين الانسان والانسان بل بين الانسان والطبيعة . ولذلك ايضاً كان الارتباط بين الفلسفة والتاويخ الحضاري ارتباطاً فاعلية متبادلة وتأثير مشترك . واذا كانت المذاهب الفلسفية تتحقق على يد مفكرين ذوي شخصية ، فلأن المفكر نفسه ليس طيفاً ساجماً في الفضاء بل هو ابن عصره ومجتمعه . واذا كان فكر الفيلسوف قلما يسوي مجموع الموامل الحضارية المعاصر له ، فلأن العناصر الحضارية

وتكسبه خصائص الروح الفلسفية .
فأما خصائص الروح الفلسفية فهي روح البحث المستمر والحرية الفكرية والتسامح العقلي والرغبة الدائمة في الحوار مع الآخرين . والروح الفلسفية حقيقة حية تؤثر وتتأثر ، تسائل وتجواب ، تقنع وتقتنع . هي في صميمها تفكير منهجي دقيق رافده الاهتمام بالتنظيم المنهجي وشعاره التسلسل المنطقي وقاعدته البداهة والوضوح .

ومن طبيعة الفيلسوف الا يقنع بأية مجموعة نهائية من الأجوبة مهما بدت له يقينية قاطعة ، فمن حق كل فرد ان يعيد تكوين العلم لحسابه الخاص وان يقيم لنفسه أنظمة خاصة من القيم او المعايير . على ان حرية الفيلسوف وثيقة الارتباط بالضرورة ، فاخفاء المواقف تماماً موت محقق للحرية ؛ وليس الفيلسوف حرية محضة متغلبة على سائر شروط الموقف البشري وان كانت الروح الفلسفية لا اتيائية في جوهرها لا تقتنع بالانتماء الى اية مدرسة فكرية . والفيلسوف لا يلتزم الا بذاته ، واذا كان التأمل من خصائص الروح الفلسفية فلنا هو التأمل الذاتي الذي يستهدف اكتشاف القدرات الذاتية للذات التي هي قاعلية ملقمة .

هذه هي خلاصة آراء المؤلف في الفلسفة من حيث مشكلاتها ومعانيها وخصائصها . والطابع السائد لاتجاهه الفكري هو الفردية العميقة ، والنظرة الميتافيزيقية التي تفصل الانسان عن مكوناته المادية ، والحرية المطلقة التي لا تلتزم الا بذاتها فلا تلتزم بشيء . ورغم ذلك فنحن نحس بتفكيره يصاني ذبذبة متواجة بين عدة متناقضات . ففي حين يقرر انه ينتمي الى فلاسفة السؤال الذين يكتبون بطرح الاسئلة ، يعود فيقرر ان الفلسفة الحققة هي التي تسائل وتجواب معاً . وفي حين يعطي الفيلسوف حرية البدء من لا شيء سوى ذاته ، يعود فيؤكد شروط الموقف البشري الحارجية كمصدر موجه

لا يوجد الا في خيالات الحالمين .
واعتقد ان الفلسفة لن تؤكد للفكر البشري
شعوره بتماليه على الطبيعة وخروجه على التاريخ
وتزوجه نحو المطلق ، اذا هي ظلت أسيرة لذاتية
الانسان في تناقضاتها الداخلية وأزماتها الوجودية
التي لا نهاية لها . وانما تستطيع ذلك فحسب حينما
لا تكتفي بطرح الاسئلة بل تبحث عن الاجابات ،
حينما تساهم ايجابياً في حل التناقض العميق بين
الانسان والعالم في اطار كلي شامل . وربما كانت
هذه هي مسؤولية الفلسفة ومشكلتها معاً .

عاطف احمد

هي الدافع والموجه لامكانيات ذاتية خاصة لدى
الفكر لا تدخل في معادله حسابية . فليس صحيحاً
ان كل فلسفة عظيمة تحيا دون الارتباط بحقيقة
تاريخية اشم منها ، اذ الفلسفة العظيمة لا تولد من
لا شيء .

وحينما يقول المؤلف بأن «الفلسفة مخاطرة
فكرية كبرى هيئات للفكر ان يحققها ما لم ينفصل
بوجه ما من الوجود عن عصره وماضي التفكير
الفلسفي وتاريخ المعارف المحصلة لكي يعيد بناء كل
شيء من جديد » ، فاننا لا نعتقد ان المؤلف يقصد
المعنى الحرفي لهذه الكلمات: اذ ان مثل هذا الفكر

العرب يكتشفون اوربا من جديد

Arab Rediscovery of Europe , by Ibrahim Abou - Lughod. Princeton , 1963

ذهن المواطن العربي في القرن الماضي عن اوربا بفضل
مطالعته كتب الرحلات والترجمات وبفضل انتقال
المبادئ والافكار والانظمة والمفاهيم الاوربية الى
بلادهم .

والمواضيع الاربعة ، كما هو ظاهر ، شيقة
وجذابة . ولا ينحصر الاهتمام بها في اختصاص
معين . بل تكاد تكون ضمن اهتمامات كل مثقف
عربي . ولعل كون مواضيع الكتاب شيقة وجذابة
الى هذا الحد هو الذي يجعل القارئ يشعر بشيء
من خيبة الامل عند الانتهاء من المطالعة ، على الرغم
من فضائل الكتاب الكثيرة — كدقة الملاحظة ،
وتحاشي الاسهاب ، والجهد في تتبع المصادر الاولية ،
وتقديم قلقة متميزة (هي افضل قائمة من نوعها)
لكتب الرحلات العربية الى اوربا في القرن التاسع
عشر ، وتقصي بعض الالفاظ والمفاهيم الفنية (مثل

يقدم الاستاذ ابو لغد في كتابه هذا قصة تعرف
العرب تعرفهم الحديث على اوربا ، وخاصة غربيها ،
في قرن واحد من الزمان ، هو القرن التاسع عشر .
وهو يبرز ، في استعراض مراحل هذا التعرف ،
اربعة مواضيع : أولاً ، ملهية المبادئ والافكار
السياسية التي استعارها العرب من الغرب في القرن
التاسع عشر ، كالحرية والمساواة والقومية والجمهورية
والعدالة . ثانياً ، حركة الترجمة الى اللغة العربية ،
مع انتباه خاص لنوعية الكتب المختارة للترجمة
وعوامل اختيارها بالذات ، لتبيان الفكرة التي
حصل العرب عليها من جراء مطالعة تلك الترجمات .
ثالثاً ، الرحلات العربية الى اوربا في ذلك القرن ،
ونظرة الرحالة العرب الى اوربا ، وخاصة في الحقلين
السياسي والثقافي ، وانطباعاتهم التي سجلوها في
كتبهم . رابعاً ، تحديد الصورة التي تكونت في

« جمهورية » و « الغرب ») وتصحيح اخطاء بعض العلماء الاوربيين في تأريخ هذه الالفاظ .

مبعث خيبة الامل ان القارئ المهتم بالموضوع يطلب اكثر مما يقدم الكتاب . لا اعترض على ما في الكتاب من حقائق ومعلومات وآراء ، بل على ما ليس فيه منها مما كان يجب ان يكون فيه . وكان حب اليجاز عند المؤلف ، وهو فضيلة محمود ، جعله يخوض الموضوع بسرعة اكثر من اللازم ، فيتناول طرفاً ويهمل طرفاً ، مع انه لا سبيل الى الاحاطة بالموضوع الا بتناول جميع اطرافه ، ومع ان بعض الحقائق والمعلومات التي اهتم بها وأفرد لها مكاناً رئيسياً ليست جديدة بل سبق ان نشرت في مراجع ودراسات اخرى ، ومع ان الآراء والاستنتاجات التي توصل اليها قليلة نسبياً اذا ما قيست بالمعلومات غير الجديدة . فباستثناء صفحات قليلة في الفصلين الثاني والثالث ، في تقييم الترجمات العربية عن اللغات الاوربية ، يكاد القارئ يجد الفصلين تكراراً وتلخيصاً وتبويباً جديداً لمعلومات أوردها احمد عبد الكريم وحاك تاجر وجمال الدين الشيال في كتب صدرت لهم منذ سنوات عن الثقافة والفكر في القرن التاسع عشر في مصر . واكثر من نصف الفصلين الخامس والسادس ترجمة لمقاطع طويلة من انطباعات اربعة من الرحالة العرب : الطهطاوي والشدياق وفرنسيس مراث وخير الدين التونسي .

يعنى القسم الاكبر من الكتاب بحسرين ، فقط ، من الجسور التي مدها عرب القرن الماضي بين بلادهم وبين القارة الاوربية من اجل التعرف عليها وفهم حياتها وفكرها وتتبع تطورها : وهما جسرا الترجمة والرحلات . ولا شك انها وسيلتان مهمتان جداً من الوسائل التي سلكها العرب للحصول على مبتغاهم . لكن هناك جسرين آخرين اهملها المؤلف : اعني بها جسر التسلذ على الاساتذة الاوربيين في الجامعات والمعاهد الاجنبية في الديار العربية ، وجسر

التعامل مع الرحالة الاوربيين في هذه الديار والتأثر بهم والاحتكاك المتواصل معهم لأخذ فكرة عن البلاد الاوربية التي جاءوا منها . ان عرباً كثيرين بدأوا يكونون لانفسهم افكاراً صحيحة عن اوربا تقضي على جهلهم السابق لها بواسطة انتسابهم الى المعاهد الاجنبية في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر ، وبواسطة تعلم اللغات الاجنبية لقراءة النتاج الاوربي بلغاته الاصلية ، وبواسطة الاستماع الى ما يرويه الاساتذة الاجانب عن بلادهم وتراثهم . لعل عدد هؤلاء يفوق عدد اخوانهم الذين حصروا معلوماتهم عن الغرب بمطالعة الترجمات العربية التي كانت ، حتى في اوج ازدهارها ورواجها ، محدودة العدد ، وضعيفة الترجمة ، وغير واسعة الانتشار . ووصل العلم بأوربا ، بواسطة رحالة انكليزي في بلاد العرب مثل داوتي وبلنط ، الى مناطق عربية نائية نسبياً لم تكن تهم كثيراً بمطالعة ما دونه الرحالة العرب عن رحلاتهم ، ولم يكن لها سبيل الى تلك المطالعة حتى لو رغبت فيها . ولا يصح ان نبرر حصر وسائل قياس التأثر العربي بأوربا بمدى رواج كتب الرحلات والترجمات . فان هناك مقاييس اخرى تدل على نشاط الجسرين الآخرين : مثل قيام الجمعيات الادبية والمؤسسات السياسية ، بفضل احتكاك المثقفين العرب بالاساتذة والمبشرين والرحالة الاجانب في هذه البلاد اكثر مما قامت بفضل قراءة كتب الترجمات والرحلات العربية . بل يمكننا ان نقول ان الوعي القومي السياسي في البلاد العربية ينتسب الى النشاط السياسي الذي صدر عن المعاهد والشخصيات الاجنبية اكثر مما ينتسب الى تلك الكتب . والمؤلف نفسه يعترف بشيء من هذا ويقول ان الرحالة العرب في اوربا لم يهتموا كثيراً بالامور القومية .

ان مجرد اقامة آلاف الفرنسيين في مصر ، عند الحملة النابوليونية ، عدة سنوات ، كجنود وكمواطنين وكعلماء وكخدم ، واحتكاكهم المتواصل بالشعب

الاهتمام سلباً ام ايجابياً) ان العرب ، بعد ان
اختبروا الاستعمار الاوربي وقاسوا من مرارة الحكم
الاجنبي ، رحبوا بانتصارات اليابان - وهي البلد
الاسيوي - على روسيا - الاوربية - لا لسبب
الا للتعبير عن امتعاض العرب من اوربا بعد ما
فعلت بهم غير ما توقعوا منها حسب الصورة التي
كانت قد ارتسمت في غيلاهم منذ مطلع عهد
الاحتكاك بها .

ومن الغريب ان يخلو كتاب جيد في انتقال
المفاهيم السياسية الغربية الى البلاد العربية عبر تحول
ابناء هذه البلاد في اوربا ، من ذكر رحلة رائدة
كانت واسعة الاثر : هي رحلة محمد بك الالفي ،
زعيم مماليك مصر في مطلع القرن التاسع عشر ،
الى الجزر البريطانية سنة ١٨٠٣ . انها مثال ممتاز
على الاثر الذي تتركه مشاهدة نظم الغرب وحضارته
في نفسية مسؤول شرقي . كذلك يستغرب المرء الا
يستشهد المؤلف بقصة علم الدين التي كتبها علي مبارك
باشا في الربع الاخير من القرن ، وهي برهان جيد
على اثر الرحلات في تمكين العربي من اكتشاف
القارة الاوربية . فقد كانت القصة رائدة حركة
ادبية جعلت من الرحلات في اوربا مادة لقصاص
توجيهية ، بين رجالها كل من محمد الموليحي ومحمد
لطفي جمعة . ان يظل مكان الالفي وعلم الدين فارغاً ،
في كتاب كهذا ، نقص كبير .

لا تنفي هذه المآخذ كلها عن الكتاب قيمته
الكبيرة كمدخل لموضوع الاحتكاك العربي - الغربي
من بعد حملة نابوليون ، او كاطلالة على بعض المجاري
التي حصل بها هذا الاحتكاك الايجابي .

أنيس صايغ

احتكاكات يومية حيائية عادية ، اكثر أثراً ،
بنظري ، في تعريف ابناء وادي النيل على فرنسا
من مفعول المناشير التي وزعها رجال نابوليون في
مختلف أنحاء البلاد والتي أراد ان يكسب بواسطتها
الشعب الى صفه ضد الاتراك والانكليز ، وحشاها
بالألفاظ الوطنية والتحديات الجديدة ، آنذاك ،
على قاموس الحياة العربية . فلا بد ان الانطباع
الذي يتركه منظر معاملة الجندي الفرنسي لزميله
او لحادمه او لقائده ، او للمرأة التي ترافقه ، اختاً
كانت او زوجة او عشيقة ، في نفس المواطن
المصري لأعمق ، في مدى أربع سنوات ، من اثر
قراءة منشور يشمل كلمة مساواة دون ان يفسرها .
لا يؤخذ على الكاتب حصر اهتمامه بالترجمات
والرحلات العربية فحسب ، بل ايضاً المبالغة في
التوكيد على هذين الامرين . لا شك ان الرحلات
استمرت وازدادت ، كما يقول الكاتب . ولكن
موانع معينة ظلت تعوق هذه الرحلات وتمنع
المئات من القيام بها . وبسبب هذه الموانع ظل الرحالة
العرب في اوربا ، الى وقت غير قصير في القرن
الحالي ، يبدؤون كتبهم بتبرير اعمالهم وبالتأكيد على
ان السفر الى الغرب لا يتنافى والتقاليد الاجتماعية
والدينية وباقتباس اقوال مأثورة في حسنات السفر
والاغتراب .

كان اهتمام العرب باوربا ، عن طريق الترجمة او
الرحلة او غير ذلك ، متأثراً ولا شك بالعلاقات
السياسية بين العرب والغرب . وكذلك كان رأي
العرب بالغربيين ، بشكل خاص . وهو موضوع
يتحاشاه الكاتب كثيراً ، مع انه يلقي ضوءاً قوياً
على طبيعة العلاقات . وللدلالة على ان الاهتمام العربي
باوربا في القرن الماضي كان سياسياً (سواء كان هذا

مشكلة اللاجئين العرب

بقلم الدكتور ادولر سيدم . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣

اما الباب الثالث والاخير فقد سماه « وسائل علاج مشكلة اللاجئين » ، ومعظمه ينصرف الى وسائل مواجهة التحدي الصهيوني المتمثل باسرائيل .

فأما الباب الاول ، وهو الباب التاريخي ، فلنا عليه عدد من الملاحظات : فالمؤلف يطرح موضوع الغزو الصهيوني لفلسطين بالسؤال التالي : « متى فكر اليهود في العودة الى فلسطين ؟ » وكنا نفضل عدم استعمال مصطلح « العودة » هذا أو وضعه على الاقل ضمن اقواس اقتباسية ، للدلالة على انه المصطلح الذي يستخدمه الصهيونيون انفسهم في الاشارة الى غزومهم لفلسطين ، لأنه يتضمن كثيراً من المعاني التي يزعمونها بدون حق ، والتي يميزونها على اي حال في دعاياتهم .

ويتناول المؤلف في هذا الباب ادوار عدد من الدول والشعوب في دعم التطور الذي ادى الى قيام اسرائيل وتشريد سكانها العرب . ولما كانت بريطانيا صاحبة المسؤولية الاولى في هذا الموضوع كله ، فاننا نرى ان المؤلف اغفل جانبيين يميدي الاثر بل حاسمين من جوانب المسؤولية البريطانية دون اشارة على الاطلاق . اولها ان بريطانيا أنشأت لليهود جيشاً في فلسطين ابان الانتداب ، وهو الجيش المعروف باسم الهاجاناه ، ودرسته وسلحته وعلمته فنون القتال . وقد اشرف على هذه المهمة الجنرال وينجيت البريطاني . هذا بالاضافة الى انشاء لواء يهودي تابع للقوات البريطانية في الحرب العالمية الثانية وتدريبه على القتال . والثاني الثاني هو الارهاب البريطاني المريع لعرب فلسطين ، ومحاربة بريطانيا لهم وتصديها لضرب ثورتهم التي امتدت من

يصعب على القارئ ، بعد الانتهاء من قراءة هذا الكتاب ، ان يفهم لماذا اختار له كاتبه هذا العنوان : « مشكلة اللاجئين العرب » . فالعنوان لا يصور للموضوع الذي يتناوله الكاتب ، ولا يصور حق جوهر البحث الذي يتناوله في كتابه ، فضلاً عن انه قد يؤدي الى ايقاع القارئ في سوء فهم اساسي لموضوع ما زال ، رغم كل ما كتب عنه ، في حاجة الى توضيح .

الموضوع الذي يتحدث عنه الكاتب هو « قضية فلسطين » في شتى ابعادها . والعنوان يخلط فرعاً من فروع هذه القضية ، الذي هو مشكلة اللاجئين ، بالكل ، والذي هو اهم من ذلك بكثير . والتمييز بين الموضوعين جوهري . صحيح ان مشكلة اللاجئين العرب مهمة في نظر كل عربي ، لأن العربي الفلسطيني أخ له ؛ ولكن قضية الغزو الصهيوني لفلسطين اهم لأنها التحدي الذي يواجه كل فرد عربي ، وكل شعب عربي ، وكل دولة عربية ، ويتهدد الوجود . وما مشكلة اللاجئين سوى الصورة التي تنتظر كثيراً من ابناء الشعب العربي اذا لم يحسن العرب مواجهة هذا التحدي الصهيوني .

قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة ابواب ، سمى اولها « نشأة مشكلة اللاجئين العرب » ، وافرده في واقع الامر لتاريخ قضية فلسطين منذ الغزو الصهيوني . اما الباب الثاني فقد سماه « آثار مشكلة اللاجئين في المستوى الاجتماعي في الشرق الاوسط وفي العلاقات الدولية » ، والمقصود هنا ايضاً آثار كارثة فلسطين وعواقبها كلها في تطور الاحداث والافكار العربية .

اثر الكارثة بصورة خاصة في تطور الفكر الاجتماعي، وفي محاولات إعادة التنظيم الاجتماعي، وفي التحام الحركة القومية العربية بالاشتراكية فكراً وتطبيقاً. ولعل القسم الثالث والاخير من الكتاب هو اقرب ما يكون لأن يكون بحثاً في مشكلة اللاجئين في حد ذاتها، وان كان البحث هنا ايضاً يتناول بالضرورة الابعاد الاخرى للقضية وفي مقدمتها استعادة فلسطين.

ونحب ان ننبه الى مناقشة الكتاب لزعم اسرائيل بأن العرب خرجوا من فلسطين طوعاً لا نتيجة اكراه اسرائيلي. والكتاب يرفض هذا الزعم طبعاً، ولكن يبدو لنا نقاشه في بعض الاحيان ضعيفاً، وكأنه هو غير مقتنع بما يقول. فالواقع انه لم يصدر عن اي مرجع عربي - سواء من عرب فلسطين ام من الحكومات العربية - اية نصيحة بمقاومة البلاد؛ بل القول بوجود مثل هذه النصيحة ادعاء باطل خلقتة الدعاية الصهيونية لتغطي امام العالم اجلاءها لعرب فلسطين عن ديارهم. ونعتقد انه كان من الضروري ان ينسب الكاتب الى حوادث الاجلاء المباشر التي قام بها الاسرائيليون انفسهم، كاجلاء سكان الرملة واللد وسكان بئر السبع وكثير غيرها، فهنا دحض مباشر لكل تنصل اسرائيلي من هذه التبعة.

هذه بعض الملاحظات التي تراءت لنا اثناء قراءة الكتاب. ويبقى بعد ذلك ان نشير الى ان هذا الكتاب القيم يثم عن بحث طويل وشاق، وجد في المعالجة، وعمق في الفهم، واتساع نادر في الافق، وادراك للابعاد الشاسعة لقضية فلسطين ولا تأرها الضخمة على واقع العرب ومستقبلهم. وليست النقاط التي سردناها بالآخذ، وانما هي كما قلنا ملاحظات. وقضية فلسطين تستحق كل سعة صدر وتوسع للكثير من المناقشة والملاحظة.

برهان الدجاني

سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٩، والتي كانت في ظروفها اليائسة اسطورة بقدر ما كلفت ثورة الجزء اثر بعد الحرب العالمية الثانية اسطورة. ان النزف المادي والمعنوي لعرب فلسطين على أيدي البطش البريطاني بأصرح وأبشع صوره، كان في اعتقادنا من ام العوامل التي اخلت ميزان القوى في فلسطين لصالح اسرائيل بصورة حاسمة اثناء حرب عام ١٩٤٨. وهذه المناسبة فلنا نستغرب جداً عدم افراد فصل للمقاومة العربية في هذا الجزء من الكتاب، مما يعطي صورة مشوهة عن حقيقة تاريخ هذه القضية. كما ان استيلاء عرب فلسطين وثورتهم العديدة سنوات ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و اخيراً ١٩٣٦ - ١٩٣٩، هي من الاعتبارات المعنوية الهامة في فضالنا الطويل المرير مع اسرائيل.

ومن الاشياء التي غفل عنها المؤلف في هذا الجزء من الكتاب توضيح العلاقة المعقدة بين اللامامية الاوربية والصهيونية، ومسؤولية اللامامية الاوربية فعلاً في خلق المشكلة اليهودية وفي اخراج اليهود من اوربا (شرقاً وغرباً)، واستغلال للصهيونية المنظمة لهذا الوضع في سبيل اقامة دولة يهودية في فلسطين.

في الباب الثاني من الكتاب يتناول المؤلف آثار كارثة فلسطين وقيام اسرائيل على شعب فلسطين وعلى التطورات العربية المجتمعية والسياسية. والواقع ان هذا الجزء من الكتاب يتضمن ادراكاً عميقاً للآثار الضخمة التي نجمت عن الكارثة في كل بقعة عربية وفي كل جانب من جوانب الحياة العربية. الا اننا ندرك هنا وجه الصعوبة في ربط الاسباب بالمسببات، لأن تطوُّراً تاريخياً كبيراً كان يجري في المجتمع العربي على اي حال، وجاءت كارثة فلسطين فمززت بعض النواحي وعمقت نواحي اخرى وحولت نواحي ثالثة وهكذا.

على ان ناحية جوهرية أغفلت هنا ايضاً؛ وهي

نفطنا ومصادر الطاقة الاوربية

Middle East Oil Crises and Western Europe's Energy Supplies ,
by Harold Lubell . Johns Hopkins , 1963

كبيرة من النفط المكرر للدول الواقعة في شرقي آسيا ، نظراً لأن مصفاة عبادان كانت تكرر كميات يصدر منها حوالي ٤٨٩٠٠٠ برميل يومياً ، وغالب النفط المكرر كان يسوق في بلدان جنوبي شرقي آسيا . فوجب عند توقف المصفاة عن العمل ان توجه كميات ماثلة من العالم الغربي الى الدول المستهلكة المذكورة . وكان طابع الازمة التي نتجت ان الحاجة ظهرت لتوفير وسائل كافية لنقل هذه الكميات الى أماكن الاستهلاك .

اما الازمة الثانية التي يشير اليها الكاتب فهي بالطبع انخفاض كميات النفط في اوربا الغربية خلال أحداث السويس والاشهر الواقعة بين أواخر ١٩٥٦ وأوائل ١٩٥٧ ، الوقت الذي كانت فيه قناة السويس مقفلة للملاحة بسبب اضرار الحرب العدوانية (وهذا ما لا يذكره الكاتب: فهو يشير الى اقفال القناة كعمل قام به الرئيس جمال عبد الناصر) .

هذا الكتاب ملخص لدراسة أعدها الاستاذ هارولد لوبل لمؤسسة راند للابحاث ، كجزء من دراسة مطولة تقوم بها هذه المؤسسة لحساب سلاح الجو الامريكي .

والهدف من دراسته تقييم الاخطار التي قد توقف سيل نفط الشرق الأوسط الى اسواق اوربا الغربية فتعرض بذلك دول أوربا الى ازمات واخطار من الواجب على العالم الغربي الاستعداد لمواجهةها منذ الآن، مع ان امكانية تطور الاحداث بشكل خطر قد تبدو ضئيلة في نظر البعض . ويوضح الكاتب وجهة نظره بصراحة : « لقد تعرض العالم الغربي في السنين العشر الماضية (منذ ١٩٥٠ وحتى ١٩٦٠) الى انقطاع وارداته النفطية مرتين . وبالنظر لتزايد الشعور القومي في منطقة الشرق الاوسط وظهور نزعات استعمارية محلية يتوقع حصول أحداث ماثلة » .

وانطلاقاً من وجهة النظر هذه ، ومن اجل اظهار قوة الحجج التي تساندها ، يقدم الكاتب في القسم الاول من دراسته عرضاً تاريخياً للاحداث التي ادت الى انقطاع تدفق النفط مرتين في الماضي القريب . ومن المعروف ان تأميم صناعة النفط في ايران من قبل حكومة مصدق ادى الى شل اعمال الانتاج والتكرير نتيجة للمقاطعة التي فرضتها شركات النفط العالمية عندئذ بمساندة حكوماتها على منتجات النفط الايرانية . وبين الكاتب ان ازمة التأميم التي انتهت بعودة الشاه الى الحكم وازاحة مصدق أوجبت على دول العالم الغربي توفير كميات

ويلاحظ القارئ المطلع على اوضاع الشرق الاوسط ولو اطلاعاً سطحياً ان الكاتب، في ايراده للآحداث التاريخية ، يتغاضى عن حقائق باتت معروفة وتثبت ان مسؤولية الدول الاوربية المستهلكة كانت كبيرة في كلتا الحالتين عما جرى . وبالإضافة لعدم اطلاع الكاتب على الاحداث الأساسية بصورة دقيقة ، او عدم عرضه لها بشكل دقيق ، نجد يعطي احياناً ارقاماً يخالف بعضها البعض .

وتشياً مع وجهة نظره القائلة بعدم سلامة

على فائض في الحملة القائمة لأساطيل ناقلات النفط في العالم الغربي تكون كافية لايصال كميات النفط التي تستلزمها أوروبا الغربية من الولايات المتحدة وفنزويلا. ورأي الكاتب ان عمليات الاستكشاف والتطوير والمحافظة على فائض في حملة ناقلات النفط من الممكن للعالم الغربي القيام بها على وجه يكفل لأوروبا الغربية مصادر سليمة وثابتة للطاقة ، ولكن هذه العمليات تؤدي الى ارتفاع في اسعار النفط عن مستواها الحالي بنسبة تقارب العشرين بالمائة ، بينما ارتفاع اجور النقل حسب تقديرات الكاتب (وعلى ما يبدو ان طريقة الحساب التي اتبعها اعتباطية) قد يبلغ اربعين بالمائة . وبين الاستاذ لوبل ان ارتفاع اسعار النفط في بلدان أوروبا ، ان اعتمدت على نفط الولايات المتحدة وفنزويلا للتغلب على ازمات نفط الشرق الاوسط ، لا يؤدي الى تفضيل الفحم الحجري كمورد للطاقة على اساس الكلفة .

ونظراً لاقتناع الكاتب بإمكانية حلول نفط الولايات المتحدة وفنزويلا مكان نفط الشرق الاوسط في أوروبا ، وجب عليه ان يبين بعض النواحي العملية التي تتعلق بتطوير الانتاج في العالم الغربي والمحافظة على فائض الحملة لناقلات النفط . وهو يورد بعض الاقتراحات في القسم الثالث من كتابه ويشدد على وجوب المحافظة في بلدان أوروبا على حالة استعداد لاحتلال بعض موارد الطاقة المحلية مكان النفط ، كالفحم الحجري . فالقسم الاخير من الدراسة عبارة عن تفحص لما يجب عمله استدراكاً لأزمات نفط الشرق الاوسط ودور كل من الحكومات الغربية والاشخاص المعنويين (الشركات) في تأمين حاجات أوروبا الغربية للطاقة بحيث لا يمكن لأية ازمة ان تشل الانتاج الصناعي في أوروبا الغربية وبذا لاتصبح أوروبا عرضة لمضاعفات عسكرية وسياسية .

يمكننا ايجاز الدراسة المقدمة في كتاب الاستاذ لوبل بأنها تقييم نظري لأثر احداث مستقبلية متوقع

مصادر نفط الشرق الاوسط كمصدر للطاقة الأوروبية، يستعرض احداثاً خيالية قد تقع وتؤدي الى انقطاع نفط الشرق الاوسط عن أوروبا بصورة كلية او جزئية. ويعمد بالتالي الى تقييم اثر احداث كهذه على حاجات الطاقة في أوروبا ، ويبين ما يجب عمله لسد النقص في مصادر الطاقة كي لا تتعرض أوروبا الغربية الى ازمات اقتصادية او استراتيجية حادة .

وخلال تعرض الكاتب لبحث المشاكل التي تنتج عن انقطاع نفط الشرق الاوسط ، يوضح ان اي انقطاع عن الانتاج لا يشمل الكويت والسعودية وإيران في نفس الحين يمكن التعويض عنه بزيادة الانتاج في الولايات المتحدة وفنزويلا ، وهذا الامر لا يقتضي سوى استغلال المناطق النفطية في البلدين المذكورين على اكمل وجه وضمن اطار الانتاج الحالي. وبكلام آخر ، ليس من حاجة للتقريب عن مصادر نفطية جديدة لسد اي نقص في انتاج الشرق الاوسط ما لم يتوقف الانتاج في البلدان الثلاثة المذكورة في آن واحد . وعندئذ يجب لسد النقص في كميات النفط التي تحتاجها أوروبا الغربية ان تكتشف وتستغل موارد نفطية جديدة في فنزويلا والولايات المتحدة ، كما ويجب ايضاً توفير اسطول بحري لنقل النفط في خليج المكسيك والبحر الكاريبي الى أوروبا الغربية. ورأي الكاتب ان فائض الحملة القائمة لأساطيل ناقلات النفط يحل هذه المشكلة غير ذات اهمية الا بالنسبة لزيادة اجور النقل التي ترافق تزايد الطلب على الخدمات .

وفي القسم الثاني من الدراسة يلخص الاستاذ لوبل الخطوات التي يجب على العالم الغربي اتخاذها للحيولة دون حدوث مضاعفات خطيرة نتيجة لانقطاع نفط الشرق الاوسط عن أوروبا . ويدور بحثه على ناحيتين : اولاهما تتعلق بعمليات الاستكشاف والانتاج والاستثمار التي يجب القيام بها لمواجهة انقطاع كلي لنفط الشرق الاوسط ، وثانيها مسألة المحافظة

وشمالى افريقيا المنتجة للنفط تسعى الى اشتراك سياسات متوافقة تضمن مصالح الدول المنتجة؛ ومن أهم هذه السياسات الحد من كميات الانتاج . وفنزويلا تتقيد بقرارات هذه المنظمة ، خاصة وان لها يداً طولى في تأسيسها . وجوهر سياسات منظمة الاقطار يتعارض مع افتراضات لوبل المتعلقة بتطوير الانتاج في الولايات المتحدة وفنزويلا . وهو ايضا في بحثه هذا يتغاضى عن مسألة مهمة تربط بين كميات الاحتياطي ومعدل الانتاج : فهذه العلاقة تقرر امكانية تزايد الانتاج ، والوضع الحالي في الولايات المتحدة وفنزويلا لا يشجع على زيادة الانتاج حسب تقديرات لوبل . فلا نستطيع تجاه هذه الحقائق وعدة اعتراضات اساسية اخرى يمكن ابدائها ولا يتسع المجال لها هنا الا ان نقول بأن هذا الكتاب (رغمًا عن احتوائه على بعض الاحصائيات المفيدة) كان من الافضل ان يبقى تقريراً لسلح الجو الامريكي لا غير .

مروان اسكندر

حدثها (حسب رأي الكاتب) في منطقة الشرق الاوسط على موارد الطاقة لاوربا الغربية، وما يجب عمله استداراً لحاذاير توقعات كهذه . والحقيقة ان مبرر دراسة كهذه ليس سوى حاجة العسكريين الى التأكد من حسن استعداد حلفائهم للملاقاة جميع الاحتمالات وخاصة التطورات السيئة . فالنظرة الاستراتيجية العسكرية تغلب على الدراسة، مما ادى الى نزوعها عما هو معقول وجنوحها نحو اللامعقول وغير المتوقع. وتقيد الكاتب بوجهة النظر الاستراتيجية العسكرية أساء اليه من حيث انه تغاضى عن حقائق تاريخية واجتماعية تؤكد حاجة دول الشرق الاوسط الى تسويق منتجاتها النفطية بقدر حاجة بلدان اوربا لهذه الموارد . كما انه تمادى في افتراضاته النظرية الى حد تجاهل بعض المنظمات التي يتوقع ان يكون لها اثر فعال في تقرير كميات النفط التي ستسوق من قبل الدول المنتجة في الشرق الاوسط وفنزويلا : فمنظمة الاقطار المنتجة والمصدرة للنفط التي تضم في عضويتها فنزويلا ودول الشرق الاوسط

ديوان الشعر العربي

اعداد علي احمد سعيد (أدونيس) . الجزء الأول ، المطبعة العصرية ، صيدا ، ١٩٦٤

مضامينها بتفاوت النظر الى قيم هذا التراث وتنوع مقاييس الاصطفاء . وما تباين الدواوين غير دليل أبين على خصب الثروة الشعرية، حيث صفا من الشعر رحيق كيفما تبدلت المقاييس وتنوع عيار الذوق وتفرع الطبع والنظر .

اما وقد انقضى نحو من ستة عقود على مختارات محمود سامي البارودي ، وتجمد الشعر العربي في قوالب البرامج الرسمية حتى التوى في أذهان طالبيه، وطراً على وجودنا الحضاري ومعادلة الثقافة الانسانية

لئن صح ان قيمة التراث كامنة في جوهره ، فأولاه ان استمرار هذه القيمة بالذات رهين بما يواكبها من نظر النقد ، وبما تتقاسمه العبقريات من شعلتها الدائمة . فعلى اقلام النقاد يحيا التراث ، ومقاييس دوامه انه شعلة عطاء متجددة فاعلة .

وكأنما لاح للأهم الغربية العريقة في الادب ان تروى ميراثها ، حيناً بعد حين ، فهدت الى رهط من أدائها ، على تباين ادواقهم والميول، ان يصطفوا، على التوالي ، مختاراً يمثل ذروة الابداع الشعري في هذه الأمم . فتمددت بذلك الدواوين ، وتفاوتت

اذ تقع في المقدمة على حقيقة البعد العمودي في الشعر القديم ، وفيها يتعمق « وجود » الانسان الجاهلي ، يعاني مأساة المكان ، وفاجع الانفصال والعزلة الكئيبة ، ويحاول بالبطولة ان يدوراً عيشة العالم ، ويتخذ منها فعل حضور وحداً لمتاهة الغياب ، وتجاوزاً لذات تتحقق به لتملأ الفراغ . وفي هذه الملكية لكل شيء يعي الجاهلي انه لا يملك شيئاً ، ينتظر المهول ، والمجهول ببداء ، كلفاضي وكالحاضر ، حتى يحتقق الانتظار ويموت ، وتغمر الشاعر كآبة مزمنة لا يبرأ منها الا بالغايرة والانتصار ، فتلتحم شخصيته المنكسرة ، ويتولد فيه على الاثر لون من الفرح بوجوده في المتاهة الرتيبة المتكررة .

في هذه « الحياة المطهر » تمت التفأولية الكلاسيكية في الشعر الجاهلي ، ويفرض الدهر الذي لا يدفع ، ويتكثف الرقص للعالم الخارجي . ولتكن المرأة مركزاً آخر تكتمل به الذات ، في عالم التطور والانتماء والصدقة . أليس « العالم جسداً يجعله الحب اكثر امتلاء وحضوراً ؟ » . وليكن الحب طريق الخلاص ، به يسكن الحنين ، ويروى الظلم ، ويتحول النهار من زمن « رياضي اجوف » الى ليل من الصبايات والشوق المتعالي في نغم العذريين .

وبعد فان الانسان الجاهلي لا يرى الموجودات برؤية ميتافيزيقية ، فلا هو متصل بالاشياء وصل اتحاد ، ولا هو باحث عن الحقائق الكامنة . يرى الواقع الظاهر ، ويفيب الماراء .

بذا يكون انتقاء الشعر بالاستناد الى انه تعبير عن قضية الانسان في المكان والزمان ، وعن موقف من واقع الحياة والموت والوجود ؛ وهذا لعمرى عود الى ينبوع الابداع ، ومحور قضيته .

ولعلك تتساءل كيف انه لم يجد من ادب الجن غير قصيدة البهرامي (ص ٤٩٤ - ٤٩٥) في رؤيا الحارق ، وقد كان للجن اثر مديد في منظوم العرب والنثور ؛ وكيف انه اغفل ، مثلاً ، من

وطبيعة الحس الجمالي وتحول الذهن ووجه الحياة ما لم يطرأ مدى القرون الطوال ، فلم يعد بد من اعادة النظر في قيمة هذا الشعر وتحديد مستواه . ويجمل ان يتصدى لهذا العمل الجليل شاعر اصيل من شعراء الرعييل الاخير ليعود الى جذور الشعر العربي من خلال ما انصب في حاضرتنا العقلي والشعوري والفني من روافد المفاهيم المستجدة .

فانما اعادة النظر في اختيار الشعر لهي بمثابة بعث له وفقاً لاعتبار معين .

ولربما استرعاك في هذه الصفوة المختارة ان واضعها قد استنزف المجهود الواسع يتحرى مائة وستة وثلاثين من المراجع والاصول العربية ، يستقريء الأمالي والجمهرات والدواوين والجاميع ، يتصدى ما شط من جواهر الشعر الضائعة ، ويعالجها بالعاودة ، ويخلع عنها هالة الجلال التي أقامها الزمن المتعاقب ، حتى كان الشهرة المبنية على الذوق القديم تسقط اصحابها في المبتذل ، فيغلب عليها النادر المنسي . بحيث يترجح للناظر في ديوانه ان الشائع العائر من شعر الأوائل ليس انفس ما في التراث ، وان في روائع المقلدين التي عفا عليها الدهر من الحجارة الكريمة الشتيبة ما يستحق النظم في مسلك .

هكذا تراه يختار ، في الجزء الاول من ديوانه ، لاثنتين واربعة وعشرين شاعراً ، من مطلع الجاهلية الى اواخر العصر الاموي ، لم يشع من اسمائهم في الناس اكثر من خسين : بل انه يحتج من شعر الحسين بالذات ما لم يعلق معظمه في صدور حفاظه ، تدليلاً منه على خلل منيت به النظرة التقليدية الى الشعر فطاشت عن القصد .

ثم انه نبه الى المقاييس التي اعتمد في اختياره ، يعتمد عن التقليد والتكرار ، ويتخلى عما دار منه في فلك السياسة والاجتماع والقدر الشعري المشترك ، لينتقي ألصق الشعر دلالة على الوحدة الصحيحة بين الانتاج وصاحبه . وان هو لم يستنفذ هذه المقاييس ، فان في المقدمة التي مهد بها لديوانه ما يكمل القواعد

فانك ، مها تباينت طبيعة التساؤل ، لواجد ان الادب العربي يعيش مرحلة متأزمة من حيث قيمته الباقية بالصميم ؛ وان في هذه الرؤية الجديدة لدليلا على خصب قيمه ، وثبات مقومات بقائه ، وان للشعر الغنائي عندنا من خصائص الدوام ما تميزت به عالمية الغنائية في آداب الامم .

انطون غطاس كرم

اسماعيل بن يسار نزعة التعاجم وفيها وجوده ، ونقمتة ، وموضع مأساته في زمان بني أمية في المدينة ؛ او تتساءل كيف انه سلخ البيت الواحد من الوثبة الشعرية التي مهدت له ، والمصب الذي آل اليه ؛ وفيما أتى هذا التراث من خلال المفاهيم الماصرة التي عممها الفوق واقعيون والوجوديون في الحياة الادبية الحاضرة ، ينظر اليه من خارج طبيعته ، ويستدل على بقائه باعتبارات لم تولف فيه ؛

الطعام لكل فم

بقلم توفيق الحكيم . مكتبة الاداب ، القاهرة ، ١٩٦٣

للحاق بأصدقائه يلحظ رشحا على الحائط من جراء الغسيل الذي تقوم به جارتهم عطيات لشقتها . ويشور الزوجان ويناديان جارتها ، وبعد ان يطلعاها على الرش تلتزم باحضار مبيض لاصلاح الحائط . وما ان تخرج عطيات حتى تظهر على الحائط صورة متحركة لأسرة راقية ، ويذهل حمدي للشهد وينادي سميرة التي تشاركه ذهوله . ونعرف ان هذه الاسرة التي تمثلها الصورة تعاني ازمة خطيرة ، تتضح خلال الحوار الذي يدور بين الام والابن طارق والابنة ناديا ؛ فناديا تنهم امها بالاشراك مع ابن عمها الطبيب في قتل والدها . ذلك ان الام كانت تحب ابن عمها الطبيب قبل ان تتزوج من والد ناديا ، وان زوجها من والد ناديا وطارق كان من اجل ثروته فقط ؛ فلما اصبح ابن عمها الطبيب غنيا هو الآخر آثرته على زوجها ، وبذا تمت الجريمة . وتطالب ناديا أخاها طارق بأن يجد حلا لهذه المشكلة بعد ان تفضي اليه باتهاماتها لأمها . الا ان طارق يصارحها بأنه مشغول باعداد بحث علمي من شأنه توفير الطعام لكل فم ، ومن ثم فهو

تعتبر مسرحية توفيق الحكيم الاخيرة « الطعام لكل فم » عدولا عن الاتجاه اللامعقول الذي ساد انتاجه الاخير وظهر في مسرحيتي « يا طالع الشجرة » و « رحلة صيد » . وقد جاء هذا العدول بعد ان اكتشف الحكيم ان اضطرابا حتميا سيقع في البناء الدرامي عند محاولة وضع مضمون معقول ، وهو مضمون الحكيم المسرحي ، في شكل لا معقول ، وهو الشكل الذي استحدثته مدرسة مسرح العبث في اوربا . ولكنه قد استفاد في عمله الاخير من الحرية التي منحها لنفسه خلال تجاربه اللامعقولة .

وتصور المسرحية الاخيرة « الطعام لكل فم » حياة اسرة متوسطة مكونة من الزوج حمدي والزوجة سميرة . والزوج موظف عادي يرى ان ما حققه اصبح مرضيا لطموحه بعد ان صار رئيسا لقسم المحفوظات . وتمضي حياته موزعة بين العمل والبيت والقهوة ، حيث يجتمع في المساء مع رفاقه حول لعبة الطاولة التي تمثل لهم الحركة الوحيدة في نهر الضجر والسأم . وذات ليلة وحمدي يتأهب

منطقياً تماماً : اذ ان التطور المعقول لشخصية حمدي هي ان يتسع أفقه الفكري ثم ينمكس هذا على اهتمامه بقضية ما مثلاً وبالحماس والدعوة لها ، لا ان يتحول الى عالم يحاول تأليف كتاب . ليست مهمة الفن تحويل الناس الى مؤلفين بل الى مجتمع واع مؤمن متحمس .

اما قضية التقدم فيفسرها هذا الموقف الذي يعلنه طارق معبراً فيه عن ازمته قائلاً : « ازمتي هي الخوف من الوقوف . ازمتي هي ازمة عصري : اذا وقفنا نموت . عصرنا صاروخ انطلق ، اذا أبطأت حركته احترق » . ولكن ما هو مفهوم هذه السرعة في نظر الكاتب ؟ ان مفهومها هو التخطي ، مطلق تخطي حدود التقاليد والقيم المتخلفة . فهو مثلاً يرفض فكرة الانتقام على الطريقة اليونانية ، طريقة الكترا وارويست . وهذه فكرة تقدمية ، الا ان تخطي الوسيلة لا يلغي القضية ، التي هي في صميمها قضية العدالة . والذي حدث في المسرحية هو ان البطل قد تخطى الوسيلة وألغى القضية معاً . فهو يعتقد ان هاملت قد أضعاف حياته عبثاً ، بينما تعتقد ناديا ان هذه الحياة لم تضع عبثاً بل ضاعت من اجل العدالة . اننا لا نعثر على الحل التقدمي لقضية الصراع بين واجبين — هذا الصراع الذي أثاره المسرح الكلاسيكي . وهنا فيما اعتقد ازمة هذه المسرحية : اذ انه لو طرح المؤلف مشكلة يمكن تخطيها لأمكنه كشف الدلالة الثورية لهذا الصراع . ولكن الصراع بين هذين الواجبين قد شئت الانتباه وحال دون صعود الحركة في الاتجاه الذي يريجه لها الكاتب .

اما القضية الثالثة ، قضية ان العلم كفيل بحل مشاكل هذا العالم ، فقد كان من الممكن اعتبارها فكرة تقدمية لو انها طرحت خلال القرن الماضي . اذ بالرغم من ان العلم كقوة مادية يملك الحل لمشاكل العالم ، الا ان هذه الفكرة تعرضت للهدم مع سقوط

لا يجد في وقته فراغاً يعطيه هذه المشكلة ، وانه يرفض الحل الذي لجأت اليه الكترا مع أخيها اوريست ضد امها كتمنسترا . ثم يقرر انهاء الموضوع وترك الحكم لضمير امه . وتختفي آنثذ الصورة ، بعد ان يكون قد قرر ان يرحل هو وناديا ليقيا في مكان آخر . وتبدأ بعد ذلك حيرة حمدي وسميرة وقلقها ، فيحاولان اغراء عطيات بأن تقوم مرة اخرى بتنظيف شقتها بالطريقة المسرفة السابقة : ولكن عطيات ترفض وتصل بها الى حد التوصل لها بأن ينظفها لها شقتها . غير ان الصورة لا تعود للظهور ابداً . ولكن حياة هذه الاسرة تتحول بفعل هذا الحدث الدرامي الذي ظهر على الحائط . فحمدي يهتم بالبحوث العلمية ، وتقرأ سميرة كتباً عن الاغريق ، وعندما يأتي احد رفاق حمدي ليظهره على اخبار الطاولة يثور حمدي ويقول عن الطاولة انها سخافات وتفاهات . وتنتهي المسرحية وحمدي منكب على الكتابة ، بينما يسمع من الخارج صوت البيانو يعزف اللحن الجميل الذي اعتادت ناديا ان تعزفه .

ومن هذا العرض الموجز جداً يتبين لنا ان هذه المسرحية تمثل دراما داخل دراما ، ولكل منها منطقها وحوادثها وشخصياتها وحركتها وحوارها . ونجد كذلك ان هذه الدراما تناقض عدداً من القضايا الاجتماعية والفلسفية والحضارية ، من اهمها : اولاً ، دور الفن في ترقية المجتمع وانما وعيه ؛ ثانياً ، مشكلة التقدم وتطور القيم على ضوئه ؛ ثالثاً ، ان العلم كفيل بحل مشاكل العالم .

اما القضية الاولى ، فكما هو واضح ان الصورة التي عرضها المؤلف على الحائط ليست الادخول وسائل الثقافة الى البيت ، او على الاقل انتشارها بصورة او بأخرى : قد يكون هذا هو التلفزيون او المسرح . غير اننا نجد ان التحول الذي طرأ على هذه الاسرة بعد دخول هذه الوسيلة ليس

الفلسفة العقلية ذاتها بعد الحرب العالمية ، وظهرت بعد ذلك الدعوات المنادية بتوظيف العلم في خدمة الانسان . اذ ان العلم كقوة مادية يمكن ان يكون ضد الانسان كما هو قائم الآن من امتصاص وزارات الدفاع في العالم لبلالين الدولارات من اجل تشييد القلاع المسلحة . ان الكاتب ، كما علق المشكلة الاخلاقية على يقظة ضمير الام الذي لا نعرف متى يستيقظ ، يعلق ايضاً اخطر قضية معاصرة، قضية

وضع العلم في خدمة الانسان ، على يقظة الضمير الانساني . انها اذاً ازمة الضمير الفردي في الجانب الاخلاقي ، وازمة الضمير الانساني في الجانب الحضاري . وان الفن والاحلام وخدمهما هما أمل البشرية في العمل على اذكاء نار اليقظة العامة؛ وعلى الفن تتمتع آمال البشرية في ان تصبح العدالة قانون الضمير ، والخير الشامل منطق العلم .

محمد ابراهيم ابو سنه

العالم يفترق

بقلم ياسين رفاعية . دار ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٦٣

لقد فوجيء الجيل الجديد بالانتقال من حياة بسيطة ، هادئة ، رتيبة ، الى حياة جديدة فيها كثير من التعقيد والصخب والتحرر من عدد من العادات والتقاليد التي سادت مجتمعاتنا في الريف والمدينة سنوات طويلة ؛ كما فيها ايضاً كثير من الانطلاق المغلف بالغموض والابهام ، نحو آفاق جديدة لم يألفها من قبل ولا عرفها في احلامه الا رموزاً شفافه لبعض ما يعانیه في لا وعيه من متاعب فردية غريزية . كان الانتقال من مرحلة الى اخرى او من نوع من الحياة الى نوع آخر منها يتم بصورة تدريجية دون ان يلحظ الانسان بوضوح الفروق النسبية التي تفصل بين طراز من العيش ألفه وركن اليه وآخر انتقل اليه ولكنه ظل في الوقت ذاته محتفظاً بكثير من اطر الطراز السابق واشكاله واجوائه . وطبيعي في الانتقال السريع ان تحدث هزة وان تنبعث من الاعماق انفعالات جديدة تشتد وتحف وفق الاستجابات النفسية التباينة .

ان يعبر الانسان عن انفعال جديد بطريقة جديدة أمر مألوف وتصرف منطقي . واما ان

لكل جيل أدبي ألفاظ وتعبير خاصة ينحتها بدافع من حاجة نفسية ذهنية ويشجنها بعمان جديدة تعبر الى حد بعيد عن التطور الفكري الذي بلغه كما تعكس بصورة نسبية ظلالاً من احلامه وأمانيه، العابرة منها والمديدة . ولا تلبث هذه التعبيرات حتى تذهب مع الجيل ذاته وتزول بزوال الاسباب التي دعت الى خلقها واستعمالها . ومن الالفاظ الشائعة لدى جيلنا الناشئ اليوم ألفاظ « ضياع » ، « تمزق » ، « قلق » ، « متاهة » ، « دوامة » ، « عبث » ، وغير ذلك من الالفاظ التي ترجم بعضها عن اللغات الاجنبية تقليداً ووضع بعضها الآخر رغبة منه في ايجاد تناغم بين حالته النفسية والصورة التي يريد ان يرسمها لها او عنها . وكثيرون من الشباب اصبحوا الآن يرددون مثل هذه الالفاظ ترديداً بغاويّاً نتيجة حياة غير متجانسة وجدوا انفسهم في احضانها دون اي استمداد تهديدي سابق . وكثيرون منهم لا يكتفون بترديد هذه الالفاظ ترديداً آلياً فحسب بل يؤمنون ايماناً آلياً ايضاً بوجود ما هو « ضياع » و « تمزق » و « قلق » الخ .

التي تتطلب بعض الشجاعة والاقدام) يقول بعد ان جرح في وجهه وهو يدافع عن اصدقاء له هربوا من المعركة : « وتطلعت الى المرأة فوجدت وجهي قد تشوه من الجروح الصغيرة التي اجتاحتها . وأفتنمت نفسي اني انسان جديد وان الماضي ما هو الا ايام عفنة يجب ان أزيلها من حياتي » . هنا يعتمد المؤلف الى محاولتين : احدهما اعادة النظر في تجربة سابقة غير ناضجة ، وثانيتهما اتخاذ موقف جديد يقيمه على تجربة حديثة أثبتت سطحية الاولى . ومعنى ذلك انه لا يتحمد في حردد التجارب الفقيرة ولا يقيم بايحاء من احداث مرت في ماضيه مروراً خاطفاً . ومعنى ذلك ايضاً انه يتطور ، جاعلاً عينيه قيد أفق بعيد .

وقد توفق المؤلف في كشف التأملات الفردية والانتهاه بها الى استنتاجات منطقية سليمة يسكبها احياناً في قوالب فنية جميلة فيها كثير من العفوية والبساطة . فهو يقول في مستهل قصته « عالم الآخرين » انه قد مل المقهى لأن الوجه الذي يراها حوله « تكاد لكثرتها تشابه الى حد عجيب » ولأن « المقهى يمسح الانسان ويشوه رؤاه » . ان ياسين رفاعية ، وهو من رواد المقاهي ، يعود الى تأملاته فيها وفي أجوائها وفي أولئك الذين يدخلون اليها ويخرجون منها في رتبة بلهاء تحنط الاندفاع الدينامي الذي يخلق من الحياة متعة جديدة مشمرة خارج المقهى . لقد ساقته تجاربه الأولى الى رفض الحياة دون ان يعرف عنها الكثير ، وجاءته تجاربه التالية لتقول له ان الحياة لا يمكن ان ترفض اكراماً لفكرة الرفض نفسها وعن طريق المقهى بالذات لأن هناك ما يجعل الانسان يرى ما هو افضل وأقرب الى حقيقته . وكأن المؤلف هنا يبعث من العبث ذاته .

ويعمد في احيان اخرى الى الرمز والاسطورة ليعرب عن فكرة معينة توصل اليها في تأمل من تأملاته الهادئة ، كما هو الامر في قصته « البحر ليس

يصطنع الطريقة الجديدة ليولد في نفسه الانفعال المطلوب بتأثير الايحاء الذاتي فظاهرة لا تدعو الى الاطمئنان والارتياح . واذا عمد الفرد الذي يعاني مثل هذه المشكلة الى الدرس والتحليل خفت شدة الانفعال اذا كان الانفعال صحيحاً وزال تماماً اذا كان مصطنعاً زائفاً .

وبين كتابنا الشباب عدد غير قليل من الذين يعانون حالات نفسية خاصة ، نتيجة للانتقال ، تنعكس آثارها على ما يكتبون من شعر وقصة انمكاساً بارزاً واضحاً . غير ان مما يوحى بالتفاؤل والابتهاج ان بين كتابنا الشباب ايضاً طليعة خيرة انتبه افرادها الى التوتر الذي كان يسود نفوسهم وكتاباتهم وعالجوه بالدرس والتحليل والنظرة الموضوعية ، فاستقام لهم التفكير المترن وتفتح وعيهم للحياة فتفتحاً بناء يتناسب مع متطلبات تطورتنا ونهضتنا وثورتنا ؛ واصبح لهم بالتالي عطاؤم الذي يرحب به رصيدنا الفكري الحضاري الكبير . وفي جملة هؤلاء ، الذين نستقبل انتاجهم استقبالا ساراً متفائلاً ، الاستاذ ياسين رفاعية في مجموعته القصصية الجديدة « العالم يفرق » ، هذه المجموعة التي برهن في اكثر قصصها على روح تطويرية وثابة تأبى ان تظل في قواقع تقليدية تحجب عنها النور وتحول بينها وبين الاصغاء الى سيمفونيا الحياة .

ان ياسين رفاعية يعتمد على تجربته اعتماداً كبيراً ويعيشها كجزء من حياته ذاتها ، بصرف النظر عن عمق هذه التجربة او رفضها . وهو يعرف منها كمعين للمعرفة ويعود اليها للتقييم والهدي في اتخاذ مواقف جديدة يقوم بها مواقف سابقة بناها على تجربة عابرة وركن الى عفويتها في استسلام . انه يقول في نهاية قصته « الاصدقاء والشمس » (وهي قصة يبرز فيها معنى التضحية عند فرد في سبيل افراد آخرين ويرى في احداثها ما تصنعه الأناثية عند ضعف النفوس من تحاذل في المواقف الحرجة

عندما يقول انه زين جدران خيمته بجلود وحوش اصطادها من غابة قريبة يصطدم فجأة الانسياب المألوف بالواقع الصارخ ، فتتهز الصورة ويضطرب حتى خيال الاسترسال . فأني صحراء في بلادنا هذه التي تجاورها غابات كثيفة تسرح فيها الأسود والنمور ؟

اما قصته « المطر » (ظهرت اولاً في « حوار ») فعلى رغم كونها قصة تحمل من الرفات الانسانية أحلاها ، ومن المواقف الحياتية أنبلها ، ومن التفاؤل كل زهوره ، تظل تبسطاً لموشح « اسق العطاش » وسرداً قصصياً لمضمونه الاسطوري الجميل .

واذا أخذنا المجموعة ككل تام ولم ننظر الى الدقائق والاجزاء ، لظهر لنا صاحبها كاتباً متحرراً ذا نظرة خاصة الى الحياة والوجود ، يستمدّها من تجربته التي يحرص على صقلها كلما أتت له فرصة ضم تجربة الى اخرى ثم صقلها معاً عن طريق التدقيق والتأمل والاستقصاء . اما اسلوبه فيكاد ان يتفرد فيه لما له من طابع خاص له مميزاته وخصائصه . واذا كان بعض قصاصينا الشباب يكتبون ما يشابه الموزاييك ، فان ياسين رفاعية يكتب ما يشابه الفريسكو . ان في استطاعة المرء ان ينتزع احجار رسم موزاييكي من أماكنها ليعيد تركيبها في رسم جديد ، اما الفريسكو فانه كل لا يتجزأ وان انتزع اي قسم منه يتلف اللوحة بكاملها .

اورخان ميستر

أزرق » ، حيث خرج فيها على اسلوبه المألوف في استعراض تجاربه استعراضاً تربطه بالواقع عوامل عديدة ، فاتخذ الاسطورة وسيلة من ناحية وهدفاً من ناحية اخرى . وهو لا يبدو في ذلك متصنعاً متكلفاً ، لأن المعنوية ظاهرة بجلاء في استرساله في السرد والوصف استرسالاً يكاد يسبقه الى الهدف الذي يبغيه . يضاف الى ذلك انه استطاع في هذه القصة ان يجمع بين الفكرة العميقة والأداء الفني الرائع بطريقة تكاد تكون سرّالية .

ويعتمد المؤلف احياناً على التشبيه في الافصاح عن افكاره ورؤاه التي يبدو انها تتداعى تداعياً آلياً . ويصدف ان يؤدي استسلامه للتداعي استسلاماً كلياً الى حالة من الاثارة الذاتية يرتاح فيها الى خدر التنفيس عن انفعالاته ، فيأتي التشبيه بعيداً عن المطابقة الواقعية بعداً ملموساً يصعب التسامح فيه . ان للتشبيه في الميدان الحسي قواعد وأصولاً لا يمكن تناسيها ، والا قاد ذلك الى الوقوع في اخطاء من شأنها الهبوط بمستوى الفكرة او الرؤية او الموقف بنتيجة جعل الاسترسال مع الاحداث مقترناً بعقبات غير خفيفة وعثرات غير طفيفة .

ويجنح به الخيال في فترات اخرى جنوباً ينسى فيه ما يستمدّه من الواقع ، فيربط الأمنية بالوم الذي يبدو له وكأنه واقع سبق ان خبره في حياته . ففي قصته « ابتسامة في حياة رجل حزين » يصف خيمة عربية وقبيلة عربية وبيئة عربية ؛ الا انه